http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1705) السنة السابعة - السبت (23) كانون الثاني 2010

بعد أن فتكت به العصابات الإرهابية والجماعات المسلحة

قضاء المدائن يستعيد عافيته بخدمات متواضعة

(١-٢)

منذ أكثر من ثلاث سنوات كنت مترددا في الذهاب الى قضاء المدائن ، مع ان لي فيه الكثر من الصحب والأتراب الذين أمضيت معهم سنوات من الرفقة الرائعة المضمخة بالمحبة والود والإحسان ، لان هذه المدينة السياحية التي يضوع من أشجار بساتينها عبق القداح وشذى الزهور كانت بقبضة العصابات الإرهابية المجرمة التي سفكت دماء أبنائها الأبرياء من دون تمييز ، فعاثت فيها فسادا وتخريبا وتهجيرا وقتلا ونحرا ونهبا وسلبا وخطفا وقصفا بالمقذوفات المتفجرة والحارقة والمدمرة . مدينة هي ملكة جمال مدن الوسط بامتياز ، سلبت في غفلة من الزمن ، او في واحدة من أخطاء التاريخ من بين حنايا الوطن الغالي العراق ، غير ان أبناءها الغيارى والنجباء وبعدما اتضحت لهم نيات الإرهابيين الذين استهدفوهم تناخوا وتداعوا وهبوا بإرادة عراقية وطنية واحدة لطرد هؤلاء المجرمين ومن مختلف الأجناس والمنابت والمدن، فهزموهم مثلما تهزم الريح غمام السماء، وها هي تضطجع على ضفة ساقيها دجلة الخير الشرقية بدعة وهدوء وامان وسلام ، تطعم أبناءها كل ما تجود به أمهم الرؤوم ، أرضها المباركة من خير وثمار وفاكهة للاكلين .

شاكر المياح
تصوير / مهدي الخالدي

(المدى) كانت هناك بحثا عن ما تحقق لها بعد اندحار العصابات الاجرامية وما لم يتحقق ، ومستطلعة لواقع وايقاعات حياتها اليومية ، ومسلطة الضوء على بعض اشكالياتها ونمو الغرس فيها ، لم يتحقق لنا ونحن نلج بواباتها في يوم سبت عدا عطلة لدوائرها الرسمية ، لولا التعاون المخلص الذي ابداه مدير مكتب القائممقام الملازم الاول (أبو عمر) والسيدة الفاضلة سكرتيرة القائممقام التي سهلت لنا مهمتنا من خلال اتصالاتها الهاتفية مع قيادة لواء المشاة الخامس والأربعين من الفرقة الحادية عشرة التي افردت لنا مجموعة رائعة من جند العراق بامرة النقيب امر السرية الأولى من الفوج الأول وأخوته المقاتلين الذين رافقونا في جولتنا التي شملت مركز المدينة الحبيبة وبعض ضواحيها.

الطريق الى المدائن

قبل ان نجتاز جسر ديالى البديل للجسر الكونكريتي الذي لا يزال مخربا لم تمتد إليه يد الأعمار بعد، رغم مرور زمن ليس بالقليل على اخر عملية تخريب له ، تراكم الأتربة فوقه زاد من كآبته وقد كشف عن أضلاعه الحديدية الصدئة معلنا عن توقف تنفسه وموته المعماري، ولما تركناه خلف ظهورنا ، ولجنا الطريق العام ذا الممرين والذي يربط بغداد بالمحافظات الجنوبية عبر أقضية ونواحي وقصبات محافظة واسط ، الجزرة الوسطية لهذين الممرين المهمين غرست فيها العشرات او قل المئات من اشجار النخيل وقد تدلت اعناقها وكأنها تعرضت لابادة جماعية وحشية ، فسعفها تيبس واضحى حطبا بعد ان غادرته خضرته التاريخية ، لا ادري ما هي دوافع هذه الابادة ؟ هل تمت بفعل فاعل ؟ ام هو الظمأ والتصحر وانحباس الغيث ؟ ام ان فسادا عاث فيها عن قصدية حقيقية ؟ ام هو الفساد الاداري والمالي الذي استشرى في جميع مفاصل الوزارات والدوائر الرسمية؟ .

امام مدخل منطقة الوردية الملاصقة لموقع منشأة الطاقة المؤشرة كمصدر للاشعاع المركز ، اكشاك يمارس اصحابها الجزر الجائر في الهواء الطلق، والشارع الذي كنا ندرج فوق اسفلته لم يسلم من الحفر والتخسفات والتكسرات والتشققات التي تشكل خطرا حقيقيا لمستخدميه، فلطالما شهد حوادث مرورية مميته كما اخبرنا احد افراد شرطة مرور الطرق الخارجية.

بعد الوردية ، بدا لنا المنظر مختلفا، فالبساتين والمساحات الخضر حفت بجانبيه ، لتسفر عن الوجه الحقيقي لقضاء المدائن ، مدينة سياحية رائعة تبدأ الحياة فيها ولا تنتهي ، قد تضاهي ارقى المنتجعات السياحية في العالم لو امتدت اليها الايادي المخلصة ، والضمائر الحية التي تسكنها محبة العراق ، وبجهد لا اغالي لو قلت بسيط ، وبأموال لا توازي تلك التي تنفق هنا وهناك من دون طائل او جدوى اقتصادية .

الما يزور السلمان عمره خسارة

في طفولتنا وفتوتنا وشبابنا كنا ومعنا الآلاف ممن كانوا يرتادون بساتين ومتنزهات المدائن في الأعياد والعطل الرسمية وايام الجمع اهزوجة كنا نشعر بفرح غامر حين نرددها:

(الما يزور السلمان عمره خسارة) هذه الاهزوجة كانت تعبر بصدق عن جمال واهمية هذه المنطقة المزدهية بالخضرة وجداول الماء الرقراقة والفتنة الآسرة والاخاذة . في مركز المدينة كنا نستقبل بالترحيب والحفاوة والمودة اينما حللنا، ونتلمس باليقين مدى طيبة ابناء قضاء المدائن وحميميتهم وصدقيتهم ووطنيتهم . الشارع الرئيس للمدينة والمفضي الى اضرحة الصالحين (الامام سلمان المحمدي ، والصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ، وعبد الله جابر الانصاري ، ونجل الامام محمد الباقر) منعت المركبات من المرور فيه ، فبدا سالكا وانتشرت على جانبيه الحوانيت والمحال التجارية وعيادات الاطباء والصيدليات واسواق الخضار والفواكه.

كل المواطنين الذين التقيناهم اشادوا بجهود قطعات الجيش وقوى الامن والشرطة الاتحادية ، التي وبفضلها استتب الامن وساد الاستقرار ربوع القضاء .

السؤال الكبير هو : هل ما زال حقا قبلة للزائرين والسواح وطالبي الترويح عن النفس بين جنباته الخضر المترعة بالثمار من دانيات القطوف؟

لقاءات المدى مع أبنائه كشفت الآتي:

على الجانب الايمن من الشارع الرئيس متنزه صغير مسور بسياج حديدي شباكي الشكل طلي بالوان جميلة ، غير ان ملامحة لا تدل على انه متنزه فقد خلا من النبت والشجر الا من بقع خضر توزعت فوق اديم ارضيته السبخة.

مبان متلاصقة ببعضها ، ما عدا بنايتين ابتعدتا قليلا ، ولما سألت المواطن باهر حسين الذي كان لصيقا بنا خلال جولتنا في المدائن اخبرنا بان هذه الابنية هي المجمع الحكومي الذي يضم : المجلس البلدي ، ودائرة البلدية ، ومحكمة المدائن ، والتي تم اعمارها وتطويرها في عام ٢٠٠٨.

صاحب المطعم فاضل محمد قال:

الوضع الأمني في المدائن اكثر استقرارا واستتبابا من بغداد بفضل جهود القوى الأمنية سواء كانت قطعات الجيش او الشرطة .

وماذا عن الخدمات؟

بعضها متوفرة ، واخرى في طي النسيان فالقضاء تنقصه شبكة الصرف الصحي ، اما على صعيد الخدمات الصحية فهي ممتازة ففي المدائن ثلاثة مستشفيات تعمل ليل نهار ، غير انها تشكو قلة الاطباء .

الفتى ابراهيم ذو الخمسة عشر ربيعا يدرس في الصف الثاني متوسط بمدرسة مسائية قال : في النهار اعمل ضمن كوادر البلدية لتنظيف وكنس الشوارع وباجرة يومية قدرها عشرة الاف دينار ، ووالدي يعمل سائقا وأنا الابن الوحيد بين ثلاث شقيقات ، ابراهيم عد عمله في البلدية مساعدة لوالده في إعالة الأسرة .

المدائن واسعار العقارات

صاحب مكتب العقارات عون محمد جبار الدليمي قال : اسعار العقارات تعرضت لضربة قاصمة ابان عبث العصابات الارهابية وبعض المواطنين الذين هجروا باعوا منازلهم باسعار بخسة ، اما الان فانها آخذة بالتحسن بعد استتباب الامن وعودة العائلات المهجرة وازدياد الطلب عليها وتتراوح اسعارها في الوقت الراهن بين ١٥٠ – ٢٠٠ مليون دينار للوحدة السكنية ، وهي متباينة ومختلفة بحسب المواقع والمساحات .

هل هناك اقبال على شراء العقارات ؟

في الوقت الراهن ، الاقبال متذبذب ، وهذا طبيعي فبعض الناس لا تزال تتخوف من السكن في قضاء المدائن ، مع ان الاوضاع الامنية ممتازة جدا ، وكذلك هي الحياة اليومية في المدينة واطرافها ، اما الخدمات فظاهرا تبدو متوفرة ، ولكن من يغوص في قاع المدائن سيصاب بالذهول ، فالازقة غير مبلطة ، ولا توجد شبكة للصرف الصحي .

ابصرناه منهمكا (بلبخ) سياج من البلوك مع مجموعة من العمال هو : البناء صالح عبد الهادي الذي قال : بعد عودة الحياة الى طبيعتها وتحسن الأوضاع الأمنية أخذت حركة البناء بالاتساع أفقيا وعموديا وأنا الآن اعمل في اعمار وبناء مدارس المدائن .

١١ مدرسة تحت الأعمار والبناء

قلت له : كم مدرسة هي الآن تحت الأعمار والبناء ؟

عدد هذه المدارس يبلغ ١١ مدرسة بدأنا بأعمارها من الأساسات منها ما تم قلعها تماما ومن ثم إعادة بنائها من جديد وخاصة في القرى والأرياف، أنجزنا منها أربع مدارس ، اثنتان منها في قرية الخناسة ، واحدة متوسطة والأخرى ابتدائية ، ومدرسة في قرية (ام الهيطير) فضلا عن ترميم مدرستين في قرية الدرعية ، وأربع مدارس في مركز القضاء تم انجاز اثنتين متوسطة وإعدادية ، وهذه التي اعمل فيها الآن تسمى مدرسة البشير الابتدائية.

الشاب حسن ياس يعمل حلاقا قال : بسبب استقرار الأمن فان عملي كحلاق رجالي ممتاز وزبائني كثر ، والمردود المادي جيد ، مع أني تركت الدراسة منذ أربع سنوات بسبب تردي الأوضاع الأمنية والآن تتملكني الرغبة واشعر بتوق كبير للعودة إلى مقاعد الدراسة بغية إكمال تعليمي، ولما سألته عن عدد أفراد أسرته ضحك وقال: هم اربعة عشر فردا موزعون على أربعة بيوت ، فوالدي متزوج من ثلاث، وأنا ابن (الجبيرة).

عامل المطعم حسين علي أفاد قائلا : الواقع الخدمي في المدائن لا بأس به وخاصة في منظومتي مياه الشرب والكهرباء باستثناء المجاري والواقع الصحي ممتاز من خلال وجود ثلاثة مراكز صحية : العيادة الاستشارية ، والمستشفى العام والمستوصف .

وكيف هي حركة السوق؟

لا تزال ضعيفة نتيجة تدني القدرة الشرائية للمواطن وتفشي البطالة وعدم وجود مشاريع استثمارية في حين ان المنطقة مهيأة تماما لمثل هكذا مشاريع وخاصة السياحية منها ، وقضاء المدائن يعد من المناطق السياحية المهمة في بغداد لتوافر عناصر نجاح الاستثمار في السياحتين (الدينية والترفيهية) وإذا ما تحقق ذلك فانه سينعكس إيجابا على الاقتصاد المحلي للقضاء من خلال تنشيط حركة زوار المراقد الدينية ومرتادي الأماكن السياحية الترفيهية .

تلميذان لمحناهما وهم متوجهان الى مدرستهما الأول كان اسمه (عبد الرزاق عبد المجيد) في الصف السادس الابتدائي مدرسة الرواد الابتدائية : كيف هي الدراسة في مدرستك ؟

جيدة والمعلمون يبذلون قصارى جهودهم لإكمال المنهج المقرر ومتفانون في تعليمنا.

هل فيهم من يتعاطى الرشوة؟

ابدا ، هم طيبون ومجتهدون ومثابرون .

زميله او صاحبه عباس حسين اعترف بانه لم يسجل في المدرسة لانشغاله في محال والده، أما شقيقه الأكبر علي فانه يعمل سائق سيارة أجرة (تاكسي) . صاحب محل لبيع الفواكه والخضار (عايد نزر) قال : أنا خريج الدراسة المتوسطة ، وبسبب عدم توفر فرص العمل اضطررت لان اتخذ من بيع الفواكه والخضار مهنة لي .

ما هي ابرز معاناة أبناء القضاء ؟

انعدام فرص العمل وكساد السوق .

كان يتحدث بمرارة والم وهو يوضح لنا بأنه يعيل ١٨ يتيما هم ابناء شقيقه وشقيقته اللذين قضايا في أعمال وأحداث إرهابية .

واقع المرأة المدائنية

القابلة المأذونة أشواق قدوري تحدثت عن واقع المرأة المدائنية قائلة : تكاد تكون المرأة في المدائن شبه محاصرة فعملها محدود جدا وكذلك هو دخلها المادي ، وطموحها لا يتعدى جدران منزلها ، وليس لها ادنى مطمح اخر لتنطلق به نحو فضاءات ابعد، والأسباب كثيرة ، منها الهاجس الامني والاقتصادي ، مع انها لا يمارس ضدها اي شكل من اشكال العنف ، بل هي تحظى برعاية واحترام كبيرين من قبل المجتمع المدائني باستثناء بعض الحالات النادرة جدا .

كم هي نسبة الارامل في المدائن؟

كبيرة جدا ، ولا ابالغ لو قلت بانها قد تتفوق على نسبتها في بغداد جراء ما تعرض له ابناء القضاء من اعمال ارهابية مجرمة طالت جميع مواطنيه من دون تمييز واستمرت لمدة طويلة ، راح ضحيتها الالاف من الابرياء من الذكور والاناث ، واغلب الارامل هن من الفئات العمرية الشابة تتراوح اعمارهن بين ١٨ – ٢٠ سنة ناهيك عن عدد الايتام الذين لا تقل نسبتهم عن الارامل ومنهن قريباتي ومن بنات عمومتي .

صبيان حمالون ..ولكن بعربات

انهم يتجمعون .. صاح بي الزميل مهدي فالتفت نحو اليمين لارى عددا من عربات يدوية حديدية صفت بنسق واحد عند مدخل احد الازقة مطل على الشارع الرئيس ، كل واحدة بجانب الاخرى وقد جلس فيها اصحابها الصبية اليافعين منهم : عمر سامي الذي قال:

استخدم عربتي لحمل اغراض الناس، والتي تدر علي خمسة او ستة الاف دينار يوميا، وبسبب سوء حالتنا المعاشية ووفاة والدي تركت الدراسة وانا في الصف الثالث الابتدائي لانصرف للعمل من اجل توفير لقمة العيش لاسرتي . زميله عماد علوان في الرابعة عشرة من عمره الذي يستعين بالعربة في نقل أحمال المتسوقين وغيرهم ذكر بان والده معوق وهو المعيل الوحيد لعائلته التي لم تحصل على راتب او إعانة من الدولة.

الصبي محمد فاضل قال: والدتي هي التي تعيلنا من خلال بسطتها تلك (اشار بيده اليها) هي امرأة افترشت الأرض أمام بضاعتها البسيطة وقد أثقل الإملاق جلستها ، قسمات وجهها علامات صارخة للبؤس والفقر والفاقة والقهر ، دنونا منها فبادرتنا قائلة : انا المعيلة الوحيدة لعائلتي المكونة من ثلاثة أفراد انا وزوجي وولدي محمد (لا جادود ، ولا احد ولا ما حود) زوجي كف بصره منذ مدة ليست بالقصيرة ، وابني محمد يعمل عند صاحب المحل المجاور لقاء اجر يومي قدره ألف وخمسمائة دينار.

الصيدلي كريم حسين وصف لنا الواقع الصحي قائلا : المراكز الصحية في القضاء تعمل بشكل جيد فضلا عن العيادات الخاصة.

وماذا عن توفر الأدوية في المستشفيات؟

أنها متوفرة بشكل لافت ، حتى أنها أثرت على مبيعات الصيدليات الأهلية ، سيما وهي من مناشئ معروفة عالميا ، فهناك عيادة استشارية تشتمل على جميع التخصصات الطبية ، كما أن المستشفى العام يؤدي عمله بشكل نال استحسان جميع المواطنين.

ما هي الأمراض الشائعة؟

منها الأمراض المزمنة (السكري وضغط الدم) التي ازدادت الإصابات بها في الآونة الأخيرة بسبب العوامل النفسية الضاغطة التي أحدثتها أعمال العنف الإجرامية، وكذلك الأمراض الموسمية.

في مستشفى المدائن العام

ونحن ندلف العيادة الخارجية لمستشفى المدائن العام حظينا باستقبال طبيبين شابين رائعين على قدر كبير من اللطف ودماثة الخلق أصرا على عدم ذكر اسميهما فاستجبنا لرغبتهما احدهما قال : صدر أمر تعييني قبل خمسة أشهر فكنت أتصور بأن الأوضاع في المدائن لا تزال على حالها ومثلما كنا نسمع ونقرأ، غير أن الأمر اختلف تماما حينما عشت الواقع الحقيقي لها ، فالمستشفى متكامل والمواطنون يتعاملون معنا بمنتهى اللطف والاحترام فضلا عن العيادة الاستشارية التي تضم جميع الاختصاصات الطبية بما فيها الجراحية.

مستشفانا يشتمل على صالة طوارئ المخصصة للحالات الطارئة الناجمة عن الحوادث والإصابات المفاجئة كالكسور وإطلاق العيارات النارية والحالات الخطيرة، كالربو وغيره.

وفي القضاء مستوصفات صحية موزعة بين ضواحيه والتي تستقبل المرضى وتحولهم إلى المستشفى في الحالات المركبة.

يؤم المستشفى زخم كبير من المراجعين لتوفر جميع الاحتياجات والتحاليل ووفرة الأدوية وخاصة أدوية الطوارئ التي يمكن أن تجعل المريض يجتاز مرحلة الخطر ، وفيه أيضا ردهات لرقود المرضى الذين يحتاجون للمغذيات والإسعافات والتحليلات المختبرية وأولئك المصابون بهبوط او ارتفاع ضغط الدم ، هؤلاء يتلقون علاجاتهم خلال الـ ٢٤ ساعة ، وفيه أيضا ردهات للأطفال وللنساء وصالة للولادة تستقبل معظم حالات الولادة وليس جميعها ، ففي الحالات الصعبة والتي تحتاج إلى أخصائيين، فيتم إرسالها إلى المستشفيات الخاصة في بغداد .

ما هي ابرز الأمراض التي تصيب الكبار والصغار؟

معظم أمراض الأطفال موسمية ، ففي فصل الصيف تكثر أمراض الإسهال المعوي بسبب كدرة مياه الشرب ، وفي الشتاء امراض التهابات الجهاز التنفسي ، أما أمراض الكبار، فتتجسد بحمى التايفوئيد ، أما الأمراض الجراحية فنسبتها تضاهي مثيلتها في بغداد وفي المحافظات الأخرى، ولم نلحظ أمراضا انتقالية خطيرة تحتاج الى عزل المريض او الة عناية خاصة ومتابعة مستمرة ومركزة .

ماذا عن الامراض الناجمة عن التلوث ؟

المسألة ذات شقين ، الاول ان القضاء يقع بالقرب من منطقة إشعاع ، وآثار الإصابة بهذا الإشعاع لا تظهر بشكل آني او فوري ، بل تحتاج الى زمن طويل كي يسهل الكشف عنها وهي تمر عبر مراحل واجيال متعاقبة ، هذه الاجيال تراها تعاني مشكلات في النمو والحركة وفي تطور الدماغ واخرى بالدم ، وهذه تتعامل معها على الاكثر العيادة الاستشارية ، وقد لاحظنا حالات مرضية بسبب التلوث مثل هشاشة العظام وتلف العضلات .

الطبيب الشاب الاخر قال : هناك مرضى يعانون من زيادة في عدد كريات الدم الحمر مع افتقارنا للدراسة حول هذا الموضوع ، هل هو ناجم عن التلوث الإشعاعي ام لا ؟ مع العلم ان المدائن منطقة ريفية ليست مرتفعة ، قلة نسبة الهواء في المناطق الجبلية والمرتفعة قد تؤدي الى الاصابة بهذه الامراض ، اما المناطق الريفية فهي اكثر نقاء ، واغلب الظن ان الاصابات الحالية في جسر ديالى والمدائن بسبب قربها من منطقة الاشعاع ، وصحيا فان مركز القضاء يختلف تماما عن ضواحيه ، نتيجة التباين في الوعي وفي النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، ويقترح الدكتور الشاب تنظيم حملات صحية تستهدف تلك الضواحي للوقوف على واقعها الصحي وتقصي طبيعة الامراض فيها وضرب مثلا : قال : يوم امس جيئ بطفل مصاب بشلل دماغي بسبب تعرض امه الى تلوث اشعاعي وهو في حالة صرع مستمر فسألت والده : هل عرضته على طبيب ؟ فاجاب بالنفي لعدم قدرته المالية ولهذا اجد الحاجة ضرورية الى مثل هذه الحملات .

(يتبع)

الطريق الى المدائن

شباب يكنسون الشارع الرئيسي في القضاء